

القسم الثالث

المقابلات الإرشادية والعلاجية الأسرية

تمهيد في تطور التعامل مع الأسرة :

يعرف كل المشتغلين بالمشكلات النفسية والاجتماعية من أخصائيين اجتماعيين ونفسين ومن مرشدين نفسين وأطباء نفسين أهمية الأسرة في نشأة ونمو هذه المشكلات. وطالما استعانا بالأسرة على نحو أو آخر في عملهم ، ولكن هذه الاستفادة قد تطورت ومررت بمراحل يمكن تبيينها كالتالي :

في المرحلة الأولى كان الأخصائيون النفسيون والمرشدون يتصلون بالأسرة كي يحصلوا على معلومات عن عضو الأسرة المريض . فالأسرة في هذه المرحلة ليست أكثر من مصدر للمعلومات التي لم يستطع المرشد أو المعالج أن يحصل عليها من الحالة نفسها.

وفي المرحلة الثانية ، ومع بروز دور العوامل البيئية في اضطراب الأفراد أو في صحتهم النفسية ، أصبح المرشدون والمعالجون يتطلعون إلى فهم ديناميات الأسرة كجزء من فهم البيئة المحيطة بالمريض . وكان هنا متظورةً هاماً في تشخيص وعلاج اضطرابات؛ لأن فهم ديناميات الأسرة للاستفادة بها في إرشاد وعلاج الفرد كان خطوة في الاتجاه الصحيح ، حيث كان إغفال الوسط الذي يعيش فيه المريض يجعل التشخيص ناقصاً .

أما في المرحلة الثالثة والتي بدأت مع تبلور علاج الأسرة ، فقد تطورت النظرة إلى الأسرة ، فيعد أن كانت مصدراً للمعلومات في المرحلة الأولى ، وبعد أن كانت عاملاً مؤثراً على المريض في المرحلة الثانية تحولت النظرة في المرحلة الثالثة من الفرد إلى الأسرة ، بمعنى أن مركز الاهتمام أو بؤرته انتقل إلى الأسرة التي اعتبرت أنها الموضوع الرئيسي ، وما عضو الأسرة الذي حدد كمريض إلا إفصاح عن مرض الأسرة وأضطرابها. إذن فالمريض هو الأسرة ذاتها وليس العضو الذي حدد كمريض ، وبالتالي فإن الجهد الإرشادي والعلاجي يتبع أن ينصب على الأسرة ، وعلى تصحيح نمط العلاقات فيها، وإذا ما تمحّل المرشد أو المعالج في ذلك فإن الأسرة ستعيش مناخ تفاعلات صحية وسوف يتحسن « المريض » في سياق تحسن الأسرة ..

١- مرحلة الاتصالات الأولية والحواف الإدارية والإجرائية :

إن مرحلة الاتصالات الأولية تبدأ مع المرشد أو المعالج من أول اتصال بيته وبين الأسرة وتنتهي عندما يدخل المعالج والأسرة في علاقة عاملة Working Relationship، أي في علاقة فاعلة ومتباينة بالقدر الذي يسمح بإمكانية التغيير إلى أفضل. ويذكر الباحثون والممارسوون على السواء من العاملين في مجال إرشاد وعلاج الأسرة التأكيد على أهمية الاتصالات الأولية بين الأسرة والمعالج أو المرشد في ترك انطباع أولى عند كل طرف عن الطرف الآخر، وإنما أن يكون هذا الانطباع إيجابياً يصب في صالح العملية الإرشادية أو العلاجية، وإنما أن يكون سلبياً لا يخدم هدف المعالج من تحسين أوضاع الأسرة، وتشهد «سو والرondon - سكينر» Sue Walrond-Skinner أن نجاح المرشد النفسي أو المعالج النفسي في إنجاز هذه المرحلة الأولية يحدد بدرجة كبيرة نتائج العلاج كله (Walrond - Skinner , 5 , 1981).

وعلى الرغم من أن عملية انخراط المرشد أو المعالج مع الأسرة تختلف من معالج إلى آخر ومن أسرة إلى أسرة ، بل ومع المعالج الواحد حب ظروف كل أسرة، إلا أن هناك جوانب عامة يحرص عليها المعالج لتبذلها عملية الإرشاد أو العلاج البدائية الصحيحة. قد يأتي الاتصال الأول بين الأسرة والمرشد إما بصورة مباشرة عن طريق أحد أفراد الأسرة أو عن طريق طرف ثالث كان يكون جهة التحويل التي حولت الأسرة إلى مرشد أو معالج أسرى . فكثيراً ما تبدأ الأسرة أو العضو الذي حددته الأسرة كمريض استشارة جهة طبية أو نفسية ، أو طب نفسية بمفرده ، ثم رأت هذه الجهة تحويل « المريض وأسرته » إلى مرشد أو معالج من أصحاب التوجه الأسري . وفي هذه الحال على المرشد أن يتصل بجهة التحويل ويستفسر عن ظروف ودواعي الإحالـة إليه ، فيما لو رأى أن تقرير الإحالـة ينقصه بعض المعلومات أو يحتاج إلى المزيد من الاستفسار . وعلى المرشد أيضاً أن يعرف من الجهة التي قامت بالتحويل معلومات عن الأسرة ، ومدى تعاونها ، وانطباعاتها عندما علمت بأمر التحويل إلى المرشد الأسري ، وكل ما يمكن أن يفيد المرشد في فهم الأسرة وظروفها وإمكانياتها . وعلى المرشد الأسرى أن يعرف أيضاً هل التحويل إلى الإرشاد الأسري كان برغبة الأسرة أم بنصيحة من جهة التحويل .

وهناك قسم كبير جدًا من الممارسة يتم باتصال الفرد الذي يحتاج إلى المشورة أو المساعدة بالمرشد مباشرة ، كما يحدث في المؤسسات كالمدارس والمعاهد أو أي تجمعات

كالإدارات الحكومية . وفي هذه الحالات يتوقع الفرد أن تقدم له خدمة إرشادية أو علاجية بمفرده ، ولكن المرشد ذو التوجه الأسري يمكن أن يقنعه بضرورة الانضال بالأسرة وإرشاده أو علاجه ضمن إرشاد الأسرة وعلاجها . وبعد عملية الإقناع على المرشد أن يتصل مباشرة بالأسرة .

ويحصل المرشد بالأسرة هائلاً أو عن طريق كتابة رسالة تحذيرية يدعوهم إلى اللقاء به . وفي بعض المجتمعات تجبرى الترتيبات الالزامية لزيور المرشد الأسرى الأسرة فى منزلها حيث تقد المقابلة الأولى . ويتحمس لها الإجراء بعض النظريين أو الممارسين، وحجتهم فى ذلك أن ذهاب المرشد إلى الأسرة فى منزلها من شأنه أن يكبـهـ الـأـلـفـةـ مـعـهـ بـسـرـعـةـ ، وأن يهون عليهم مرحلة القلقـ التي يـشـعـرونـ بهاـ عـنـدـمـاـ يـعـرـفـونـ أـنـهـمـ بـصـلـدـ الدـخـولـ فـىـ عـمـلـيـةـ إـرـشـادـيـةـ أـوـ عـلـاجـيـةـ ، وـحـتـىـ يـسـتـطـعـ الـرـشـدـ أـنـ يـقـفـ عـلـىـ بـعـضـ الـعـلـومـاتـ أـوـ إـشـارـاتـ وـالـعـلـامـاتـ الـذـالـةـ عـلـىـ دـيـنـامـيـاتـ التـفـاعـلـ فـىـ الـأـسـرـةـ ، وـالـتـىـ رـبـماـ لـاـ تـظـهـرـ بـنـفـسـ الـوـضـوـحـ إـذـاـ قـلـمـتـ الـأـسـرـةـ إـلـىـ الـرـشـدـ . وـعـلـىـ أـيـةـ حـالـ فـإـنـ الـرـشـدـ يـسـتـصـرـفـ فـىـ حدـودـ مـعـايـيرـ الثـقاـفةـ وـظـرـوفـ الـجـمـعـ الـذـىـ يـعـيشـ فـيـهـ ، وـكـذـلـكـ ظـرـوفـهـ الشـخـصـيـةـ وـالـجـهـةـ الـتـىـ يـعـمـلـ بـهـاـ وـظـرـوفـ الـأـسـرـةـ اـيـضاـ . وـكـلـ الـاحـتمـالـاتـ قـائـمةـ وـمـفـتوـحةـ ، وـعـلـىـ الـرـشـدـ أـنـ يـتـحـيرـ أـحـسـنـ الـظـرـوفـ وـالـمـلـابـسـ الـتـىـ تـجـعـلـ مـنـ الـلـقـاءـ الـأـوـلـ لـقـاءـ نـاجـحاـ تـحـرسـ الـأـسـرـةـ بـعـدهـ عـلـىـ مـداـوـةـ حـضـورـ الـجـلـاتـ وـالـاتـخـراـطـ الـجـدـىـ فـيـ الـعـلـمـيـةـ الـإـرـشـادـيـةـ .

وإذا كتب المرشد رسالة إلى الأسرة فعليه أن يذكر فيها بصرامة أنه يريد أن يلتحق
بأفراد الأسرة كلهم لا ليجمع منهم معلومات عن «المريض» أو لفهم مناخ العلاقات
في الأسرة ، ولكن لأن هناك خطأ في تفاعل الأسرة معًا ، وأن التحريف المريض وعلته
جزء من عمل الأسرة ذاتها ، وبالتالي فالأسرة مدعوة كمسترشدة أو متعالجة ، وأكثر من
ذلك فإن الدعوة ينبغي أن توجه إلى كل فرد مؤثر أو له دور في حياة الأسرة حتى ولو
لم يكن مقيماً في المنزل مع الأسرة من الأجداد أو الأعمام أو الأخوال ، حيث إن
العملية الإرشادية تتناول طبيعة العلاقات ومراتز القوى في الأسرة .

ويتغنى على المرشد أن يتتأكد من جدية التحويل (في حال الأسر المحولة من جهة معينة) ، وأن يتتأكد من الفرد الذي جاء يطلب المشورة وووجد أن حالته تستدعي رفقيته وتشخيصه وإرشاده من خلال أسرته . وكثيراً ما يرحب الفرد بهذا التوجّه حيث لا يجد أنه فقط « السبي » أو « المتردّ » أو « المريض » أو سبب متابعة الأسرة ، بل إن

الأمر مسؤول عن الجميع وما هو إلا ضحية الأسرة وليس الأسرة ضحيته . وعلى المرشد أن يستفيد من ترحيب المريض وأن يتخلله مثلك للدخول إلى الأسرة وفهمها فيما جيداً وذلك مقابل أنه يرتكب من تهمة الإساءة إلى الأسرة ، مما يصنع بيتهما تحالفًا منشئا إليه فيما بعد عند الحديث عن مرحلة التفاعل .

وعلى المرشد بعد أن يكتب للأسرة أو يهاتفها ويتلقى موافقتها على الاشتراك في الإرشاد أو العلاج أن يحدد مكان عقد الجلسة الأولى أو اللقاء الأول بالأسرة ، وقد ذكرنا أن البعض يفضل أن يذهب المرشد إلى منزل الأسرة ليضفي جوًّا من الاجتماعية والاتصال على اللقاءات بدلاً من جو الحرف والقلق ، خاصة الأسر المترددة أو الخائفة أو حتى القاومية . ولعل النقطة الأخيرة هذه والخاصة بمقاومة الأسرة لهذا النوع من الإرشاد والعلاج هي التي تدعو البعض إلى القول بعدم ذهاب المرشد إلى منزل الأسرة بحججة التغلب على ترددها ومقاومتها ؛ لأنَّه ليس من المقيد أن تخرج الأسرة «ونفطرها» إلى المواجهة تحت ضغط الزيارة على الاشتراك في الإرشاد . بل المطلوب أن تأتي الأسرة إلى المعالج في مكان عمله ؛ لأنَّ في ذلك دليل على رغبة الأسرة النابعة من قناعتها بالمشاركة في العملية الإرشادية ، وتكون قد تأكّدت من رغبتها في المشاركة الطوعية مما يطمئن المرشد على تجاوبها معه في العمل .

وإذا كان المكان الذي ستعقد فيه الجلسة الإرشادية الأولى فإن على المرشد أن يكون قد حدد من الذي سيحضر المقابلة ، ولا يصح في هذا الصدد أن يسأل الأسرة عن بسيحضر ، فهو الذي يحدد - بعد معرفته لأفراد الأسرة التروية ، والأفراد الأسرة الممتدة والأفراد أسرتي الأصل - من سيحضر ، لأن اللقاء ينبغي أن يضم بجانب أفراد الأسرة المقيمين معاً كل من يمكن أن يكون له علاقة باتخاذ القرار في الأسرة . كما ينبغي أن يكون لدى المرشد قبل المقابلة الأولى فكرة عامة عن مشكلة الأسرة محتملة أيضاً على المعلومات التي استقها من تقرير الإحالة أو من جهة الإحالة أو من فرد الأسرة الذي جاءه يطلب المعونة أو من أي مصادر أخرى . وعلى المرشد أن يكون يقظاً ومركزاً في اتصالاته ميديا الجدية والتعاطف ، وباختصار عليه أن يكون مسيطرًا على الموقف في هذه المرحلة حتى تنتقل هذه الروح إلى الأسرة وتستمر قوة الدفع طوال العملية الإرشادية .

بـ- مرحلة الالتحاق والارتباط بالتنسيق الأسرى ، (المقابلة الأولى)

بعد أن يحدد المرشد موعد ومكان المقابلة مع الأسرة ، عليه أن يعد نفسه لهذه المقابلة الأولى التي تكتسب أهمية خاصة كما ذكرنا وتحتل موقعاً فريداً ومتيناً في العملية الإرشادية أو العلاجية حيث يترتب على نتائجها أمور كثيرة بالنسبة للأسرة وللمعانع معاً . وأول ما يقابله المرشد عند لقاء الأسرة ، هو ذلك التوتر أو القلق الذي يعتري الأسرة والذي يمكن أن يكون متوقعاً ومفهوماً ، لأن الأسرة لأول مرة تعامل «كمريض» . وحضور الأسرة يعني من ناحية ما أنهم يقررون «برضهم» ويحتاجهم إلى الإرشاد أو العلاج ، وإذا لم يكونوا مقتنعين تماماً بذلك ، فإنهم حضروا بروح المقاومة والتحدي للدعوى المرشد . وفي كل هذه الحالات يحتاج المرشد إلى أن يتخلص جو القلق والتوتر وأن يحاول إحلال روح الترحب وأن يتعاطفهم بالتعاون مع شخص عرفته الظروف إلى الأسرة تعرضاً حميمياً ووثيقاً ، وأن الأسرة لن تخسر من هذه العلاقة .

وهنا يجب أن تنبه المرشد بالألا يغتر أو ينخدع عندما يسمع بعض عبارات التعاون والترحيب بالعمل معه ، وأنهم يقدرون سلفاً مجده ، فإن كثيراً من الأسر - كما يوضع المارسون - تبدأ بهذا الحديث الشجع ، ولكن التعامل الفعلى معهم يكشف عن مقاومة عنيفة لإحداث أي تغير في سلوكهم وفي تفكيرهم ومشاعرهم ، وبإصدارون في هذا السلوك عن قناعات راسخة في أسلوبياتهم بأنهم «على ما يرام» وأن المشكلة هي مشكلة «العضو المريض» في الأسرة ، وهم مستعدون للتعاون مع المعالج «وعمل كل شيء» في سبيله «لأنه» «ابن الأثير والمزيز عليهم» . وقد تكون عملية المقاومة هذه على المستوى اللاشعوري ، فليس من السهل على الأم أن تدرك أو تعي أنها جزء كبير من مشكلة ابنها ومرضه . إضافة إلى أنه من الصعب التخلص عن السلوك الأعراضي للأسرة لأنه يؤدي وظيفة في الحفاظ على اتزان الأسرة مما ستفصل فيه القول بعد ذلك .

أول ما يفعله المرشد في المقابلة الأولى بعد الترحيب بأفراد الأسرة هو أن يترك لهم حرية الجلوس ، يمعنى أن يترك كل فرد يجلس في المكان الذي يريد «حيث يكرهون المرشد قد أعدد مقاعد بعده من يحضرون الجلسة ، وعليه أن يلاحظ من يجلس بجانب من ، لأنه قد يكتشف من الوهلة الأولى بعض التحالفات في الأسرة ، وعليه أن يلاحظ أيضاً المكان الذي تركته له الأسرة ، فإذا كان في مكان لا يستطيع منه أن يرى فيه كل أفراد الأسرة في نظرة واحدة فله أن يستنتج أن هذا التحديد ربما كان زراعة رغبة من الأسرة في تقلب نفوذه أو تقليل مكانه ودوره ، وعليه في هذه الحال أن يطلب من

أحد الأفراد أن يتبدّل معه مكانه ، وهكذا فإنه يكون قد جابه قوة الأسرة وتحداها ، وعزز هيئته بطريقة غير لفظية ولكنها مؤثرة (Walrond - Skinner , S , 1981 , 39) .

ومن البداية تؤكّد أن هذه المرحلة في العمل الإرشادي مرحلة تمهد أو مرحلة اجتماعية أكثر منها مرحلة تشخيصية أو علاجية . وعلى المعالج أو المرشد أن يكتسب حداقة الأسرة وأن يحاول أن يدخل إلى النسق الأسري ، وأن يتوازن مع الأسرة في يقاعها وأسلوبها وبنائها وخصائصها اللغوية والحركية ، ولكن بدون مبالغة أو افتخار ، حتى لا ينقلب الموقف إلى مزاجة أو فكاهة أو سوء فهم من جانب الأسرة ، فهذه المرحلة تشبه مرحلة بناء الألة rapport في الإرشاد النفسي التقليدي أو غير الأسري .

إذن فلا حديث في أي مشكلة أو صعوبة تواجهها الأسرة في المقابلة الأولى ، ولكن على المرشد أن يختار في عقله كل ما يصل إليه من معلومات أو إشارات عن الأسرة وأن يهدى في نفسه للظروف العاملة التي يمكن أن تكون وراء مشكلة الأسرة . ولذلك فإن الجهد الإرشادي كله يتصرف في هذه المرحلة إلى مواجهة الحاجات اللاشعورية عند أفراد الأسرة ، والتي قد تعمل على إعاقة عمل المرشد ، وتصرف عن مهمته الأصلية في الكشف عن أصول الانحراف في الأسرة ، وعدم استدراجه للتجهات التي تبنيها الأسرة شعورياً أو لاشعورياً وأهمها حصر المرض في العضو الذي خلدوه كمريض .

ويحاول المرشد من البداية أن يقتسم النسق الأسري وأن يتتّبع به ، وأن يكون نسقاً جديداً يضم الأسرة والمرشد ، ويكون لهذا النسق خصائصه ، ويكون له أهدافه وأساليبه المتفق عليها ، ولكن على المرشد لا يندفع أو ينصرف مع النسق الأسري الذي ربما يكون منصهراً أصلاً ، ولكن عليه أن يحافظ بشخصيته كنسق فرعي داخل النسق الجديد (الأسرة - المرشد) حتى يستطيع أن يقود عملية التغيير في الأسرة ، ونجاح المرشد في اقتحام النسق الأسري وتكونين هذا النسق الجديد بعد الجباران كبيراً للمرشد ويبشر بنتائج طيبة للعملية الإرشادية ، وبعد بآل Prognosis حسن .

ويفضل بعض المرشدين والمعالجين الأسريين بآن يقدموا في الجلسة الأولى عرضًا أو وصفًا لرؤيتهم الإرشادية والعلاجية بدون الدخول في تفاصيل فنية بالطبع ، بينما يفضل مرشدون آخرون أن يوضحوا طبيعة العملية الإرشادية كما يرونها ليس بالكلام ولكن بصورة أكثر عملية وإجرائية مثل التعليق على بعض المواقف والتصورات

أثناء مرحلة الاتصالات الأولية والإجراءات الإدارية التي سبقت المقابلة الأولى ، وتقديم تغذية مرتبطة للأسرة من خلال هذه المواقف .

وأيًّا كان الأسلوب الذي يتبعه المرشد وفضله في العمل فقد قلنا أن المقابلة الأولى مقابلة اجتماعية في طبيعتها تهدف لبناء الألفة ، ولبناء بعض الفروض أو التساؤلات في ذهن المرشد والتي توجه عمله في الجلسات التالية . ومن المهم أن نعرف أن الأسرة جاءت ، وعلى المرشد أن يحتفظ بهذه الرغبة ، بل أن يترك في تفوس أفراد الأسرة ما يتعهُم بالاستمرار في المجيء واستكمال العملية الإرشادية ، ويطمئنهم في نفس الوقت أن خوض تجربة الإرشاد أو العلاج ستطلب التغيير ولكنه ليس التغيير المدمر في حجمه أو في سرعته ، وإن الأسرة عندما تقبل على الإرشاد بتناول وثقة ورغبة أكيدة في التخلص من مشكلتها فإنها ستساعد المرشد كثيراً في أن يصل معاً (المرشد والأسرة) إلى نتائج طيبة .

وفي نهاية الجلسة الأولى يحدد المرشد للأسرة موعد المقابلة التالية ومكانها إذا كانت الجلسة الأولى عقدت في مكان خاص ، كما يحدد المرشد من سيحضر المقابلة من أفراد الأسرة ، ولا يجب عليه أن يسأل الأسرة عنمن سيحضر ، فتحديد من يحضر المقابلات الإرشادية مسؤولية المرشد وليس مسؤولية الأسرة مهما كانت تعليلات الأسرة وتفسيراتها ورؤيتها للمشكلة .

ج - مرحلة تحديد المشكلة (المقابلة الثانية) :

وفي هذه المرحلة يبدأ العمل الإرشادي أو العلاجي الفعلى ، فعندما تنتهي المرحلة الأولى التي كانت تسم بالطبع الاجتماعي وتهدف إلى إقامة الألفة بين المرشد والأسرة يبدأ المرشد ومنذ المقابلة الثانية مراحل العمل الفعلية مبتدئاً بتحديد المشكلة . ويرى كثير من الباحثين والممارسين أن خير مدخل لتحديد مشكلة الأسرة هي استعراض ودراسة وتحليل تاريخها . فتاريخ الأسرة إذن هو المدخل المناسب لمعرفة مشكلتها .

وأول ما سيواجهه المرشد في أولى جلسات العمل محاولات الأسرة لحصر المشكلة في العضو الذي حدوده كمريض ، وأنه إنما ما عولج هذا العضو فإن كل أمور الأسرة ستكون على ما يرام ، وكان لسان حالهم يقول للمرشد : « لا تتعب نفسك في البحث فنحن أصحاب المشكلة وأدري بها متى . إن المشكلة تنحصر في (س) فإذا ما استطعت مساعدته فقد ساعدتنا » ، وهذا هو التحدي الأول وربما الأكبر الذي يواجه المرشد الأسري في بداية عمله مع الأسرة ، ولذا تكون كل الانظار والاهتمام موجهة

إلى عضو الأسرة الذي حدد كمريض ويتوقعون أن يتحمّل المرشد إليه بالأسئلة والاستفسارات . ولكن يندر المرشد هذا الجور في الجلسة عليه أن يبدأ الحديث مع أحد الأعضاء الآخرين فإن في ذلك تخفيضاً لجو القلق ويصرف أنظار الأسرة عن تشخيصهم للمشكلة .

ومع ذلك فليس من السهل القيام بتغيير جو المقابلة فعلى المرشد أن يأخذ قراراً خاصاً ب موضوع السؤال الأول الذي يبدأ به التعامل مع أفراد الأسرة ؟ ولمن يوجه هذا السؤال ؟ وكيفية صياغة السؤال ، وهي مشكلة تبدو بسيطة وسهلة ولكنها دقيقة ، ويترتب عليها سير التفاعل في بقية المقابلة وربما المقابلات التالية . وفي هذا الصدد ينصح هيلى ^١ المرشد أن عليه بعد أن يكون قد أخذ فكرة لا يناس بها عن بناء القوة في الأسرة وعن مواطن التأثير فيها خلال مراحل الاتصالات الأولى ومرحلة الاتساق أن يتوجه بالسؤال الأول نحو عضو الأسرة الأقل انتماماً أو ارتباطاً بالمشكلة حتى نبعد قليلاً عن جو المشكلة . كما يرى هيلى أن العضو ذا النفوذ في الأسرة والذي لديه أكبر قدر من القوة والتأثير ، والذي يستطيع أن يأتي بالأسرة إلى الإرشاد الأسري ينبغي أن يعامل بأكبر قدر من الاهتمام والاحترام . ويقول : إنه من غير الحكمة أن تبدأ الحديث مع العضو الذي حدد كمريض كما ترعرع الأسرة (22 , 1987 , Haley) .

وفي كل الحالات لا ينبغي أن يجهز المرشد عضواً على الحديث ، ويحدث هذا كثيراً مع العضو الذي حدد كمريض حيث يكون الجميع في حالة يدفعونه فيها إلى الكلام « باعتباره الشخص المعنى بالأمر وحده » ، في الوقت الذي يكون فيه هذا العضو حائزاً مثيلاً ومحملاً بهموم الأسرة ومشكلاتها ولا يعرف كيف يتكلّم ؛ لأن لديه قدر كبير من الممارسة في مقاومة قسر الراغبين . ويصوغ المرشدون الأسريون هذه القاعدة قائلين « لا تحاول أن تجبر عضواً آخرساً على أن يتكلّم » (Don't attempt to force anyone to speak) . ويقترح البعض أن يدفع هذا العضو إلى الكلام بصورة بها بعض التحايل والاستدراج مثل « نوبيل » الذي يقترح أن يتوجه المرشد بالسؤال إلى أعضاء الأسرة الآخرين : ماذا تظن أن يقول (س) إذا ما أراد أن يتكلّم عن الموضوع ؟ ويمكن أن يوجه المرشد السؤال إلى الأعضاء الآخرين بشكل ذاتي إذا كان ذلك ضرورياً ، ويقول : أنه في معظم الحالات فإن العضو المحسد كمريض (س) أو الشخص الآخر سوف تولد لديه الحاجة لأن يدافع عن نفسه أو ليوضح حقيقة مشاعره (Noble , 1991 , 336) .

ونعود مرة أخرى إلى التساؤلات الأولية التي يبدأ بها المرشد العمل مع الأسرة وفي ذهنه عدة أمور : الأول أن يحدد جو القلق والترقب ، والثاني أن يبعد « التهمة » اللاصقة بالعضو الذي حددته الأسرة كمريض والثالث أن يتحدث في موضوعات أخرى غير مشكلة الأسرة بشرط الا يجعل الأسرة تهرب من المشكلة . وقلنا أن الذكريات الأسرية مدخل مناسب ل لتحقيق هذه الأمور ، وتخلق لدى أفراد الأسرة مشاعر توحد وتعاطف مع بعضهم البعض وتوظف ذكريات الآباء الشخصية أثناء طفولتهم ومرأهتهم مما يجعلهم أقرب إلى أن يتظروا إلى مشكلات وحاجات ومطالب أبنائهم في ضوء تذكر مشكلاتهم وحاجاتهم ومطالباتهم التي خبروها أثناء المراهقة .

ولكى يكون استرجاع الذكريات التاريخية الأسرية منهجاً وقابلأً للإفاده منه تفترج « سو والرونـد - سـكـنـر » أن يعمل المرشد على تنمية شجرة للمعائلة مع أفراد الأسرة عن طريق تسجيل أسماء أفراد الأسرة النوية فى ورقة كبيرة مع التواريـخ الـهاـمة ، ثم إضافة أسرتى الأصل والأقارب خاصة المؤثرين أو ذوى العلاقة الوثيقـة بالـأـسـرـةـ الـنوـويةـ ، ويشـكـلـ منـ ذـلـكـ رـسـمـ تـخـطـيـطـيـ يـوـضـعـ الجـدـولـ الجـيلـيـ Genealigical Table أو خـريـطةـ الأـسـرـةـ Genogram لأنـ هـذـاـ التـحـوـيلـ منـ الصـورـةـ الـلـفـظـيـةـ إـلـىـ الصـورـةـ الـرـئـيـسـةـ الـمـوضـحـةـ بالـرـسـمـ للـتـارـيـخـ الـماـضـيـ لـالـأـسـرـةـ يـعـدـ طـرـيـقـ مـبـكـرـةـ لـاستـقطـابـ اـنـتـبـاهـ وـاهـتـامـ الـأـبـنـاءـ نحوـ مـادـةـ قـدـ تـكـوـنـ جـديـدـةـ تـمـاـمـاـ بـالـنـسـبـةـ لـهـمـ ،ـ وـالـتـىـ قـدـ تـصـبـ نـقـطـةـ الـبـدـءـ وـيمـكـنـ منـ خـلالـهـ تـنـمـيـةـ حـوارـ ثـانـيـ وـجـدـانـيـ يـقـومـ عـبـرـ الحـدـودـ الجـيلـيـةـ (ـالـأـبـنـاءـ مـعـ الـآـبـاءـ وـرـبـاـ الـأـجـادـادـ)ـ .ـ كماـ أنـ هـذـاـ الأـسـلـوبـ تـكـوـنـ لـهـ فـائـدـةـ كـبـيرـةـ فـيـ تـمـكـنـ الـمعـالـجـ منـ الـحـصـولـ عـلـىـ قـدـرـ كـبـيرـ منـ الـعـلـوـمـاتـ الـتـىـ لـهـ طـبـيعـ تـعـاقـبـيـ يـتـضـمـنـ تـسلـسـلـاـ تـارـيـخـيـاـ لـلـأـحـدـاثـ وـالـخـيـرـاتـ الـأـسـرـيـةـ (ـWalrond - Skinner , 1981ـ)ـ .ـ وـإـذـاـ ماـ بـدـأـ فـيـ إـنـشـاءـ هـذـهـ الشـجـرـةـ اـبـتـدـاءـ مـنـ الـقـاـبـلـةـ الثـانـيـةـ فـلـنـهاـ تـبـقـىـ مـعـ أـفـرـادـ الـأـسـرـةـ طـوـالـ فـتـرـةـ الـإـرـشـادـ وـيمـكـنـ أنـ يـضـيفـواـ إـلـيـهاـ أـيـةـ مـعـلـوـمـاتـ يـتـذـكـرـونـهاـ أـوـ يـجـدـونـ لـهـ قـيـمـةـ .ـ وـلـكـنـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـؤـكـدـ أـنـ هـذـاـ الـاسـتـعـراـضـ الـتـارـيـخـيـ لـالـأـحـدـاثـ وـقـائـعـ سـابـقـةـ يـنـطـلـقـ مـنـ الـحـاضـرـ الـذـيـ تـعـيـشـهـ الـأـسـرـةـ معـ الـمرـشدـ ،ـ وـلـيـسـ لـلـبـحـثـ عـنـ أـسـبـابـ الـمـشـكـلـةـ «ـ الـحـالـيـةـ »ـ فـيـ «ـ الـوقـائـعـ الـماـضـيـ »ـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ عـلـىـ الـأـقـلـ فـيـ الـعـلـمـ الـإـرـشـادـيـ .ـ فـهـذـاـ الـاسـتـعـراـضـ مـدـخـلـ يـحـقـقـ الـأـمـورـ الـتـىـ سـبـقـ الـإـشـارـةـ إـلـيـهاـ وـلـكـنـهاـ لـاـ يـجـبـ أـنـ تـكـوـنـ مـهـرـبـاـ مـنـ الـحـاضـرـ إـلـىـ الـماـضـيـ .ـ

وـتـرىـ «ـ فـرـجـينـياـ سـاتـرـ »ـ أـنـ عـلـىـ الـمـرـشدـ فـيـ الـمـراـحلـ الـمـبـكـرـةـ فـيـ الـإـرـشـادـ اـبـتـدـاءـ مـنـ

المقابلة الثانية أن يعطي الفرصة لكل عضو في الأسرة ليعبر عن وجهة نظره فيما يتعلق بالمشكلة التي أنت بالأسرة إلى الإرشاد أو العلاج النفسي ، أو حسب تعبيرها للتحدث عن « الألم في الأسرة » Pain in The Family (Satir, 1983) ، ومن خلال هذه الأحاديث وتحليلها والمناقشات التي يمكن أن تدور حولها يستطيع المرشد أن يقيم الأمانات التي تستخدمها الأسرة في تواصلها واتصالاتها مع بعضها البعض ، وأنمط تحالفاتها الداخلية ، والأدوار التي يقوم بها أفراد الأسرة بالفعل بصرف النظر عن الأدوار النمطية ، فقد يختلف ما يحدث عما هو متوقع أو سائد . كما يحتاج المرشد أن يعرف كل ما يمكن معرفته عن النسق الأسري والمكانة التي منحها إياه هذا النسق مع بداية عملية الإرشاد ، أو يعني آخر علاقة النسق الفرعى الذي يتكون من المرشد بالنسب الفرعى الذى يتكون من الأسرة فى ظل النسق الفوقى Supra system الجديد الذى سعى المرشد لتكوينه منه ومن الأسرة .

إن المرشد يحتاج إلى أن ينظر إلى النسق الأسري في ضوء خواصه وصفاته (المرونة ، الانفتاح ، الانغلاق ، مكيانزمات التغذية المرتدة والضبط والمعلومات ، وغيرها من خصائص الأنساق التي أشرنا إليها في الفصل الثاني) ، وأن يصل إلى فكرة دقيقة عن النمط الأسري الحالى الذى أمامه ، وهل هو نمط متدمج enmeshed أو أنه غير منتظم Disorganized وذلك ليحدد نوع الازان الذى يحظى به هذا النسق ، وهل هناك فرد في الأسرة يعتمد عليه هذا التوازن ؟ أى كمنظم وحافظ للتوازن ، مثل ذلك العضو الذى حددته الأسرة كمريض ؟ (عن طريق قبامه بدور كيشن الفداء مثلاً ؟) أم أن هناك فرداً آخر في الأسرة يقوم بهذا الدور ؟ أم أن هذا الدور لم يوجد بعد من يقوم به ، ولذا جلت الأسرة إلى الإرشاد النفسي ليقوم المرشد نفسه بهذا الدور ؟

ويتبغى أن يتبع المرشد ليس إلى ما يقوله أفراد الأسرة فقط ، ولكن إلى إشاراتهم وإيماءاتهم وتعبيرات وجوههم وحركاتهم الجسمية وأوضاع جلوسهم وغيرها من علامات اللغة غير اللغوية Non-Verbal . فهذه العلامات تقول الكثير مما يمكن أن يفيد المرشد في فهم الأسرة لتفاعلاتها . وقد تفيد كثيراً التعبيرات غير اللغوية من أفراد الأسرة الصغار ، أى من الأطفال . لأنه إذا كان الكبار يخضعون سلوكهم اللغوى - وإلى حدهما - غير اللغوى لنظامهم الشعورى فإن الأطفال لا يستطيعون أن يقوموا بعملية الضبط هذه . ويمكن للمرشد أن يلاحظ سلوك الأطفال التلقائى فهو يعبر عن حاجاتهم ومشاعرهم وميولهم . وقد تتصادم المعطيات التى تفهم من سلوك الأطفال التلقائى

ونشاطهم الحر وما ي قوله الكبار خاصة الوالدين . وبعض المرشدين يوفرون للأطفال الفرصة لكي يمارسوا بعض الأنشطة كاللعبة (في صناديق الرمل Sandboxes وغيرها Painting وتشكيل المناقة عن طريق المكعبات Blocks والتمثيل drama) لأن الأطفال في بعض الحالات كانوا يعبرون عن معانٍ الخوف والوحدة والإهمال في الوقت الذي يتحدث فيه الوالدان عن الأمان والسعادة والحب والرعاية التي تظلل أسرتها .

فمشاعر الخوف والاحتاجات غير المشبعة ومشاعر الفراق عند الأطفال لا يتم التعبير عنها بطريقة واضحة أو صريحة أى بطريقة لفظية ، وذلك بحكم العجز اللغوي عند الأطفال ويحكم الأفكار والاتجاهات التي ي تكون الآباء قد غرسوها في نفوس ابنائهم مهما كانت مجانية الواقع . وتحكى : سو والروند - سكرن ^١ أنها أثناء العمل مع أم تعيش مع طفلتها البالغة من العمر ٨ سنوات والمفصلة عن والد الطفلة ، وكانت تزعم للمرشدة أن البنت لا تذكر والدتها ولا تهتم به ، « لأن كل حاجاتها مشبعة » ، وسمحت المرشدة للبنت أن تلعب ببعض الدمى ف تكون منها أمراً تتكون من أمها وأطفال صغار فقط ، وعندما أخذت المرشدة بعض الدمى التي تمثل الآباء ووضعها مع الأسرة التي كونتها الطفلة ، صرخت هذه الأخيرة قائلة « لا .. لا .. لو عاد أبي سوف يأخذني من ماما » (40 , 1981 , Walrond - Skinner) . ولذا فإن على المرشد أن يكون متبعها إلى التعارض الذي يوجد بين الاتصال اللغوي وبين المعطيات غير اللفظية والسلوك الفعلى غير اللفظي .

وعلى المرشد أن يترجم الأنشطة غير اللفظية لأفراد النسق الأسري كلهم صغاراً وكباراً ، والتي تبدو عشوائية لا معنى لها ولا دلالة ، إلى آفاق مفهومه تعكس علاقات أفراد النسق الأسري ومشاعرهم ومخاوفهم ومخالفاتهم ومواطن القوة ومواطن الضعف لديهم . وعلى المرشد أيضاً أن يستجمع في ذهنه كل ما عرفه عن ديناميات النسق الأسري الذي يتعامل معه ، وأن يحاول أن يقترب من مشكلة الأسرة وبالتعاون مع أفرادها ، ولا تزيد أن تكرر مرة أخرى المقاومات الشعورية واللاشعورية التي سيديها أفراد الأسرة لتشخيص المشكلة عندما يكتشفوا أن المرشد لم يخضع لهم ولم يفتح بوجهة نظرهم في حصر المشكلة في العضو الذي حدده كمريض . وعليه أن يستمر في العمل مع الأسرة ^٢ وأن يسمح خد تيارها ^٣ محاولاً تحديد المشكلة بالاستماعa بعض الأسئلة منها :

- كيف يرى كل فرد من أفراد الأسرة المشكلة ؟

- لماذا تعتبر الأسرة السلوك الأعراضي أو العرض مشكلة ؟ وهل هناك أحد من أفراد الأسرة لا يعتبر هذا العرض (السلوك الأعراضي) مشكلة ؟
- من أكثر أفراد الأسرة التزاجاً من المشكلة ؟
- كم عدد مرات حدوث العرض ؟ ومتى يحدث ؟ وأين يحدث ؟ ومن الذي يستجيب له أولاً ؟ وبأي طريقة ؟ وما الذي يحدث قبل حدوث العرض مباشرة ؟ وما الذي يحدث بعده ؟
- متى بدأ العرض ؟ ولماذا أنت الأسرة في هذا الوقت إلى الإرشاد أو العلاج ؟
- ما جوانب المشكلة التي لا يراها أفراد الأسرة ويرأها المرشد ؟
- من هو العضو في الأسرة الذي يحدد المشكلة لهم ؟ ومن الذي يتحدث عن المشكلة في الجلسات الإرشادية ؟
- ما مدى اتفاق أفراد الأسرة على تحديد المشكلة ؟ وإذا لم يكونوا متفقين فماذا يحدث ؟
- هل طلب أفراد الأسرة المساعدة من قبل ؟ ومن ؟ وكيف كانت استجابتهم لذلك ؟
- هل تم طلب المساعدة من أفراد الأسرة الممتدة ؟ أو الأقارب ؟ أو الأصدقاء ؟
- هل عرضت على الأسرة بعض الحلول ؟ ، ما هي ؟ وما موقف الأسرة من كل منها ؟
- من بين أفراد الأسرة الذي يأخذ زمام المبادرة في المواقف الجديدة في الأسرة ؟

د - مرحلة التفاعل :

وعادة ما لا تتضح المشكلة تمام الرسم في هذه المرحلة المبكرة من العملية الإرشادية لأن المقاومات عند بعض أفراد النسق لازالت عاملة وفاعلة ، وسواء اتفق أفراد الأسرة على تحديد طبيعة المشكلة أم لم يتفقوا ، فإن الوقت قد حان في هذه المرحلة أن يدخل المرشد إلى مرحلة التفاعل Interaction Stage . وفي خلال المرحلتين السابقتين (مرحلة الالتحاق Joining Stage ومرحلة تحديد المشكلة Problem State-Stage) كان المرشد يحافظ أو يبقى على مركزيته وتركيزه على الشبكة الاتصالية ،

ويتكلّم مع كلّ أفراد الأسرة بالتناوب ، ويمنع التقطّعات ، وتعيل هذه الإجراءات إلى تخفيف التوتر في الأسرة من ناحية وتوافر النظام والاتصال الواضح نسبياً من ناحية أخرى ، وتقييم من المرشد قوّة وتعتمد فائدة لعملية الإرشادية من ناحية ثالثة . وإذا كان هدف المرحلة السابقة هو تحكّم الأسرة من أن ترى مشكلتها على نحو الصحيح ، فإنّ هدف هذه المرحلة (التفاعل) هو توضيّح آثار التفاعل التي أبْتَطَت على المشكلة . والمدخل النهيّ للوصول إلى هذا الهدف - كما يرى معظم مرشدى ومعالجي الأسرة - هو أن يطلب المرشد من أفراد الأسرة أن يعبر كلّ منهم تعبيراً غير مقيّد عن نفسه ، وأن يتفاعلوا بحرية وتلقائية في وجود المرشد أو بتعبيـر « منوشن » أن « يرقصوا » في حضوره (Minuchin 1974) .

وهذا الاستعراض أو « الرقص » يمكن أن يحدث على نحو سهل وطبيعي إذا كان أفراد الأسرة غير مستيقنـين على طبيعة المشكلة التي تواجهها الأسرة . وعندما يكون هذا صحيحاً ويتأكّد منه المرشد ، فإنه يشجع أفراد الأسرة على أن يناقشوا اختلافاتهم ، وأن يحاولوا أن يصلوا إلى اتفاق . وخلال هذه المرحلة يكون من القيد للتفاعلات في المقابلة أن يتشارلـ المرشد عن مركز الشبكة الاتصالية ، حيث كان يقوم بدور المسقـ لكل الاتصالات . وعليه في هذه الحال أن يحول كل الاتصالات التي توجه له من أعضاء الأسرة مرة أخرى إلى أفراد الأسرة الآخرين . والمرشد لا يترك الأمور تتفاعل بعيداً عنه ولكن دوره فقط في هذه المرحلة يكون أنسـب عندما يمارس في حدود التوجيه والتدخل حين الحاجة ، مثل أن يناقش اثنان من أعضاء الأسرة ويسـلا إلى طريق مسدود فعليه أن يسرـ هذا الاتصال وأن يساعدهما على استمرار الحوار ، فمهـته في هذه المرحلة - مرحلة التـفاعل - أن يكون مـيرا Facilitator لهذا التـفاعل .

أما إذا اتفق أعضاء الأسرة حول طبيعة المشكلة التي أحضرتهم إلى الإرشاد أو العلاج النفسي فإنّ المرشد يطلب منهم أن يمثلوا الموقف المودي إلى المشكلة ، مثل الموقف الذي يرفض فيه الابن (س) الامتثال لأوامر الأم أو الأب ، مـاذا يحدث ؟ وما موقف كلّ فرد في الأسرة من ذلك ؟ ويرى مرشدـو الأسرة : أنه من المقيد أن يجعل الأسرة تؤدي أو تفعل شيئاً عملياً خاصـاً بالمشكلة بدلاً من الحديث عنها فقط ، ومن الفروري أن يفعل المرشد كلّ ما في وسعه ليسـاعد الأسرة على أن تبني نماذج من السلوك صحـحة وسلـمة في الخيال توطـنة لمحاـولة جعل هذا الخيال يـحدث في الواقع . وبناء هذه النماذج من السلوك خطوة هامة ومـفيدة . ولكن المشكلة في بعض

الاسر ان اعضاء الاسرة ليسوا تواصليين ، فالحدود بين الانساق الفرعية سميكة وصلبة، ويكون المرشد في هذه الحال غير قادر على أن يتلقى معلومات كافية لبناء سلوك تفاعلي سليم وصحيح . وبغض النظر عن لديهم تماذج من مواقف تفاعلية سوية معدة مسبقاً وتناسب مواقف أسرية شائعة ، يمكن أن يدرك عليها الأسرة المثلثة . ومن الممارسات التي يتحمس لها بعض المرشدين الآخرين ، خاصة عندما يتعاملون مع أسرة بها أطفال صغار ، أن يسألوا الأسرة أن تتفقد عن طريق التمثيل في الجلسة يوماً من حياة الأسرة بكل تفاصيلها . وإذا لم ينجح هذا الأسلوب فإنه يمثل فرصة أمام المرشد ليرى بعينه كيف تتفاعل الأسرة ، ويستطيع حيثاً أن يصحح ما يراه مؤدياً إلى المشكلات وأن يبرر هذا التصحح للأسرة جيداً وأن يدربهم على السلوك المصحح وحتى يروا نتائج التفاعل الجديد ويفتعلوا به مما يسر التسلك بما تعلموه من أنماط جديدة .

إن من أهداف المرحلة التفاعلية أيضاً هو وقوف المرشد على هرمية الأسرة والكشف عن أي تحالفات ثابتة ، ولمعرفة طبيعة الحدود بين الانساق الفرعية هل هي متميزة أو صلبة وجامدة ، وما مدى تفاذيسها . ويأمل المرشد في هذه المرحلة أيضاً أن يكتشف عن التابع التفاعلي المتكرر طوال فترة معينة ، والذي يبقى على سلوك المشكلة ، وعندما يحصل المرشد على هذه المعلومات فإنه يكون في وضع يسمح له بتنمية التدخلات التي تؤدي إلى تغير مفيد .

ولكي يحقق المرشد أهداف هذه المرحلة فإنه يضع القواعد الأساسية للعمل الإرشادي وأن يشرحها لأعضاء الأسرة جيداً : لأنهم سيتعاملون على أساسها . وفي مقدمتها أن الأسرة جاءت إلى الإرشاد أو العلاج النفس لأنها « هي » تحتاج إلى ذلك ، وأن المرشد لم يحضر الأسرة ليقوم بذلك العمل الساذج والتقليدي وهو علاج الفرد في وجود أسرته ، وإنما هو يتعامل مع أسرة تحتاج الإرشاد أو العلاج بما فيها العضو الذي تقبل الأسرة إلى اعتباره المريض .

ومن قواعد عملية التفاعل أيضاً أن يتتجنب العمل من وراء ظهر بعض أعضاء الأسرة انسياقاً أو استدراجاً من جانب البعض الآخر ، فكثيراً ما يحدث أن يتصل أحد أعضاء الأسرة بالمرشد تليفزيونياً أو في نهاية الجلسة بعد أن تنتهي ليسر إليه ببعض المعلومات عن الأعضاء الآخرين على أساس أنه لا يستطيع أن يقول ذلك أمام بقية الأعضاء . والقاعدة التي ينبغي أن يوصي بها المرشد هنا هي أنه يأمل أن يصبح كل فرد ، بما في ذلك المرشد نفسه ، قادرًا على قول ما يرغب فيه أمام الآخرين في الجلسة ، على

أساس أن كل ما يشارك فيه العضو أعضاء الأسرة الآخرين ملك للأسرة . وأن المرشد غير مستعد لأن يدخل في لعبة إخفاء المعلومات عن البعض أو يشارك في التنازلات التي قد تكون قائمة في الأسرة . بل أنه من المناسب ومن الأفضل للمرشد ولعملية التفاعل أن يظل المرشد في بعض المواقف في الظل ، وليس من الضروري أن يجد أنه على علم بكل تفاصيل حياة أعضاء الأسرة ، وأنه ليس محلًا للأسرار الشخصية لأعضاء الأسرة . وبالفعل لا ينبغي أن يسعى إلى معرفة معلومات لن يستفيد منها ، لأنها بذلك ستعرقل حرية وتلقائية حركة مع أعضاء الأسرة في الجلسة .

ومن قواعد عملية التفاعل أيضًا : أن يحاول المرشد ترسيخ جو من الانفتاح Openness والألفة Intimacy . وأفشل طريقة تحكيم المرشد من ذلك هي : أن يحاول بنفسه تقديم خوذج لهذا الجو ، وذلك من خلال أن يجعلهم يشاركونه في مشاعره الخاصة أياً كانت هذه المشاعر التي يشعر بها أثناء جلوسه معهم ، وأن يتصرف مثلهم ببساطة وأن يتحدث بعمقية وتلقائية . ولا ينبغي أن يمنع الالتزام بأداب المهنة ، وقواعد الممارسة الفنية والأخلاقية من أن يسلك المرشد بهذه المغفرة حتى يلتف إلى داخل النسق الأسري ويصبح واحدًا من مفرداته . ول المرشد الكفاءة ذو المهارات العالية يستطيع أن يحقق هذا التوازن بين التلقائية في السلوك والالتزام بمعايير المهنة وأصول مزاولتها .

ومن قواعد العمل في المرحلة التفاعلية أيضًا : أن يقوم المرشد بتlimis وترسيخ علاقات لها معاناتها ودلالتها - وليست علاقات جوفاء مصطنعة - مع كل فرد من أفراد الأسرة وبطريقة ملائمة ومتاسبة لسن و الجنسه . ويجب أن يشعر كل فرد في الجماعة باهتمام المرشد به شخصيًّا ، حتى يستطيع أن يشعر بعد ذلك ولو بطريقة ما بأنه يمكن أن يستفيد شخصيًّا بشيء ما من العملية الإرشادية ، وحتى يكون هذا الشعور دافعًا له لممارسة حضور الجلسات وتفاعله فيها . وكما قلنا من قبل فإن الجلسات الأولى يحاول فيها المرشد أن يحقق هدف الاندماج مع النسق الأسري أو اخترافه وتكوين نسق جديد يشمله مع الأسرة . وعليه أن يبذل الكثير من الجهد وأن يظهر الكبير من المهارة حتى يتسكن من إقامة هذا الاندماج ، لأنه بموجب هذا التكوين الجيد يستطيع المرشد أن يصل إلى اتفاق فعال وعامل مع الأسرة ، وهو الذي سيسمح له بإحداث التغيير المطلوب .

بدأ الأسرة - كما قلنا - تفاعلاً مع المرشد بتقديم كيش فداتها ، وهو العضو الذي حددته كمريض . ومنذ بداية العمل الإرشادي يوجد قدر كبير من التباين في وجهات النظر بين المرشد والأسرة فيما يتعلق بالأسباب التي أدت إلى وجود المشكلات

الأسرية وفيما يتعلّق - وبالتالي - بأساليب مواجهة هذه المشكلات . فالأسرة تشعر أن مشكلاتها تتبيّه إذا ما استبعد العضو المريض منها أو تغير هو بمفرده . بطريقة سحرية ، أما المرشد فإنه يتّظر إلى الأعراض المرضية عند العضو المريض بوصفها دعوة لتوجيه الاهتمام نحو مناطق أساسية للاحتلال الوظيفي في العلاقات الأسرية الداخلية ، ويكون اهتمامه مركزاً على سمات الأسرة وأساليب تعاملها وليس على الأعراض المرضية الموجودة لدى المريض .

وعند هذه النقطة يحدث التعارض الحاد بين النسرين : المرشد والأسرة ، حتى وإن اتّساعاً في نسق واحد فإن التعارض سيحدث بين النسرين الفرعين في داخل النسق الكبير . ويجد المرشد نفسه أمام خيارين خاطئين : الأول أن يساير الأسرة - خاصة إذا كان قد انبع منها ، وبذلك يفقد هو والأسرة آية نتائج إيجابية للعملية الإرشادية وتكون العملية قد انتهت . والخيار الثاني : أن يصر على تغيير النسق الأسري في هذا الوقت المبكر من الإرشاد ، وبذلك قد تهرب الأسرة ولا تعود للمقابلات مرة أخرى ، وتكون العملية الإرشادية قد انتهت أيضاً . وعليه أن يسلك الطريق الوسط بين هذين الخيارين فلا يساير الأسرة ولا يصدّها بشدة في وقت مبكر لم يكتمل فيه وعيها .

ولكن عدم مسايرة الأسرة لا يعني تجاهل بعض المشكلات السلوكية القائمة والملحة لأحد أفراد الأسرة ، فإذا كان أحد الأبناء متورطاً في مشكلة سلوكيّة كالسرقة أو غيرها فإن المرشد لا يستطيع أن يتّجاهل هذا السلوك الجانح لأحد أفراد الأسرة الذي يؤثّر على النسق الأسري كله وعلى مكانته في البيئة . ولابد في هذه الحال من مساعدة خاصة للأسرة لمواجهة المشكلة . وهذا بالطبع لا يتعارض مع خطة الإرشاد التي يرسمها المرشد لتجهيز عمله ، وعلى المرشد أن يدمج موضوع السرقة عند أحد الأبناء بتفاعلات الأسرة العامة ، فاغلب الظن أنها ليست مسألتين منفصلتين بل أن السرقة أحد أعراض «مرض الأسرة» وبالتالي فالتنب لا يقع على ابن وحده ، والأسرة ليست بريئة تماماً من هذا السلوك ، وهذه المواجهة مع الأسرة مطلوبة دائماً حتى لا يعزز لديها ميكانزم اتخاذ كيشن قلاء .

ومن المتوقع أن موقف المرشد من الأسرة ومن العضو المحدد كمريض - المستخدم ككيشن قلاء عادة - من شأنه أن يرفع معنويات هذا العضو ويشعره بالارتياح والثقة ويزيل عنه الكثير من مشاعر الذونية والضفة التي يعانيها من جراء معاملة الأسرة . وعندما يستمر المعالج في دعم هذا العضو وتشجيعه بالاتساع إليه والتعليقات المهدبة

اللطيفة معه والجلوس بجانبه في الجلسة من شأنه أن يغير مناخ ونظام العلاقات وأسلوب التعامل ومراكز القرى في الأسرة ، أى أن النسق الأسري يبدأ في الاهتزاز ، ولا يعود هو ذلك النسق الذي أفرز انحراف أحد الابناء . ولكن ينبغي أن يكون المرشد حذرًا من المبالغة ، وأن يكون واعيًا بدرجة كافية ، لأن العضو - كبس الفداء - قد يتمرا هذا الوضع ويستمر في لعب دور كبس الفداء برغبة هذه المرة ما دام يحقق له مكانة ومكاسب في الأسرة ، وبالتالي لا يبذل الجهد الكافي لمحاولة تغيير سلوكه .

وكنا قد أشرنا من قبل إلى نوع من الصفقة أو التحالف الذي يتم على نحو غير مكتوب بين المرشد والعضو المحدد كمريض أو كبس فداء الأسرة ، وهو تحالف في صالح العملية الإرشادية ، فالنسق الأسري الآن بدأ يتعرض للتغير . فالعضو المحدد كمريض والذي كان له مكانة ذتبها في نسق القرية داخل الأسرة ارتفعت مكانته وشعر بالقرفة والثقة بفضل معاملة المرشد ، والمفهوم الجديد لمشكلة الأسرة يائلاً ليست ناتجة من سلوك هذا العضو بقدر ما هي نتيجة تفاعلات الأسرة الخاطئة ، وأن هذا العضو ضحية الأسرة بأكثر من أن تكون الأسرة ضحيته .

ونكون هذه هي فرصة المرشد ليغير في توازن النسق ويجعله يختلي مقدمة لبناء النسق من جديد على أسس تفاعلية سوية . ومضمون الصفقة بين المرشد وعضو الأسرة ، هي أن هذا العضو هو منفذ المرشد للولوج إلى داخل النسق الأسري ، وللصيغة كما قلنا أحد مفرداته في مقابل هذه المكانة التي أنماها له المرشد . وكما قلنا فإن على المرشد أن يكون متبيئاً حتى لا يستغل عضو الأسرة هذه المكانة استغلالاً سبيلاً ، وأن يتمادي في الحصول على المكاسب ، بل ينبغي أن يعرف أن عليه واجبات ومسؤوليات مثل باقي أعضاء الأسرة ، وأنه لن ينقلب من عضو منبود إلى عضو عزيز أو مدلل مع ملاحظة أن عضو الأسرة الذي استفاد حتى الآن من العملية الإرشادية عرضة للتفكير في الا يستمر في الإرشاد - مثله مثل الآخرين - عندما يكتشف أن خطة الإرشاد تطوله أيضًا وتفرض عليه تغيرات ربما لم يكن يريدها .

٥- مرحلة إقرار الهدف :

ويعد مرحلة الاتصالات الأولية وإجراءات إقامة أول مقابلة . وبعد إجراء المقابلة الأولى ، وهي المقابلة التي يلتتحق من خلالها المرشد بالنسق الأسري ليكونا معاً نسقاً جديداً . وبعد بداية العمل الفعلى مثلاً في محاولة تجديد المشكلة في بداية التفاعل الحقيقي الذي يهدف إلى تغيير العتقدات والأفكار التي يقوم عليها توازن النسق

الأسرى، وبالتالي تغيير النسق وإقامته على أساس تفاهمات جديدة وتوارز يعتمد على علاقات سوية . عند هذه المرحلة - ونحن مازلنا في بدايات العملية الإرشادية - على المرشد - وخاصة عندما يصبح جزءاً من النسق - أن يعقد اتفاقاً مع أعضاء الأسرة حول كيفية مواجهة المشكلة وحلها بعد تحديد معالجتها ، وهذا الاتفاق قد يكون مكتوباً وقد يكون شفرياً غير مكتوب . المهم أن طرقى الانفاق المرشد من ناحية وأفراد الأسرة من ناحية أخرى يكون كل منهما على بيته بتفاصيل هذا الاتفاق وأهدافه ومراحله ووسائل تنفيذه وواجبات كل طرف وحقوقه عند الطرف الآخر ، وصياغة الاتفاق تعتمد على طبيعة المشكلة وعلى أعضاء الأسرة وبياناتها ، « إذا أردنا نتائج جيدة فإننا لابد وأن نبدأ بداية جيدة » كما يقول « هيلي » (Haley , 1987 , 8) .

ويصرخ المرشد الافتاق حب طبيعة المشكلة وبناء الأسرة وعلى النحو الذي يكفل دلالة التوازن القائم وإجلال توازن جديد أكثر سوء مكانه . وترى ⁸ سو والروند- سكنر ⁹ أنه من الأمور الفسيدة عقد اتفاقية مع الأسرة عند الوصول إلى نهاية الجلسة الثانية؛ لأن هذه الاتفاقية سوف تقوم بوضع المسدود حول استمرار العلاقة بين المعالج والأسرة . وهذه الاتفاقية ليست مجرد وضع المسؤوليات الخاصة بالأمور والمهم المطلوبة لتحقیق الغایات المطلوبة المرغوبة ، ولكنها تعد أيضا ضمانتاً لاستبقاء ومساندة وثبتت نسق التغيير العلاجي (Walomd - Skinner , 1981 , 43) .

ويرى المرشدون أن الاتفاقيات ينبغي أن تغطي أهداف العلاج . وتحدد الأهداف بناء على إمكانيات وقدرات النسق الأسري . وتتضمن الاتفاقيات أيضاً مسئوليات أفراد الأسرة ومسئوليّات الرشد وتحديد من سيتابعون حضور الجلسات ، وكما فلترا ربما يكون من الحيوي ضرورة حضور الأجداد أو الأعمام أو الأخوال ما دامت شخصيات مؤثرة في بعض أفراد الأسرة وتفاعلاتهم . وهذا يعني أن المرشد قد يركز في بعض مراحل العمل على التفاوض مع العضو المحدد كمريض ، ثم يتحول عنه إلى الوالدين وطبيعة علاقاتهما ، وقد يتتحول من هذين إلى الجد أو الجدة وهكذا ، كما تشمل الاتفاقيات بالطبع مكان وموعد الجلسات وجدول عقدتها أسبوعياً أو شهرياً .

ويلاحظ أنه رغم الاتفاق على مكان معين لعقد الجلسات فهذا لا يمنع من أن تعقد بعض الجلسات في مكان آخر كمثـل الأسرة إذا رأى المرشد أهمية لذلك . وقد يتضمن الاتفاق التسجيل الصوتي أو المرئي للجلسات . وبحسبما يرى المرشد قد تكون الجلسات مكثفة في فترة معينة من العمل كأن يكون جلستين في الأسبوع ثم جلسة واحدة أسبوعياً بعد ذلك . هكذا يتضمن التعاقد مثل هذه الأمور حتى تكون الأسرة

على بيئة من ذلك وأن ترتب أمورها على هذا الأساس . ولكن يلاحظ أن المرونة واردة مقابلاً أية تغيرات أو ظروف طارئة . فوضع جدول للجلسات لا يعني أنه لا يتغير ، ولكن وضع الجدول من البداية ضروري لأنجاز العمل على نحو طيب .

ومن أهم مهارات المرشد النفسي الأسري : قدرته على صياغة المشكلة على النحو الذي يساعد في حلها ، فكثير من المشكلات يصعب إن لم يكن من المستحيل حلها ليس لأنها صعبة الحل بالفعل ولكن لأن المشكلة موضوعة في آذان أصحابها على نحو لا يسر الحل سواء من حيث ترتيب عناصرها ، أو من حيث إدراك العلاقات بين العناصر ، أو من حيث غياب بعض العناصر الهامة أو من حيث اختلاط عناصر المشكلة بالخواص الانفعالية التي تعمل على التشويش من بعض العناصر أو التهوي من قدرها . وفي كل الحالات تكون صورة المشكلة بالهالة التي تحيطها تختلف كثيراً عن المشكلة بعناصرها الواقعية التي يراها الطرف المحايد ، وهذا ما يحاول المرشد أن يقوم به عندما يهدى الهالة من حول المشكلة ويضع كل عنصر من عناصرها في حجمه الطبيعي وفي علاقتها بالعناصر الأخرى مع التأكد من عدم غياب أي عنصر له علاقة بالمشكلة .

وأول المداخل لفهم الأسرة لمشكلتها على الوجه الصحيح هي أن يعرف أفرادها أن طبيعة العلاقات بينهم وتفاعلهم غير السوى هو الذي أفرز المشكلة وهو الذي تُغَيِّر الأعراض ليتكامل التفاعل وأن على النحو الخاطئ ، أي أن التفاعل الخاطئ هو الذي جعل من ظهور الأعراض أمراً ضرورياً ؛ لأنها تؤدي وظيفة الإبقاء على شكل التفاعلات (الخاطئ) والذي يشبع الحاجات (غير السوية) عند أفراد الأسرة وخاصة الوالدين . ومن هنا يحتاج النسق لهذه الأعراض لأنها هي التي تحافظ على تحقيق حاجات ذوى التفوّه فيه .

واختفاء الأعراض وحده دون تغيير في العلاقات والتفاعلات من شأنه أن يزعج بعض أفراد النسق وخاصة الوالدين ، أو قد يختفي العرض ليظهر مكانه عرض آخر يقوم بنفس الوظيفة إذا فشل العرض الأول ، أو لم يعد يقوم بالوظيفة كما ينبغي . وما تتعلمه العملية الإرشادية هي تعديل التفاعلات ونظرية كل فرد إلى الآخر وتصحيح المواقف التي من شأنها أن تصحيح العلاقات ، وبالتالي لا يعود للعرض قبضة أو وظيفة فيختفي من تلقاء نفسه في بعض الحالات ، أو يجهد تدريجياً بسيط في الحالات الأخرى .

وعلى ذلك فإنه أمام أي مشكلة يكون على المرشد أن يعيد تأطير reframe المشكلة ، أي النظر إليها من زاوية أخرى أو في صياغة أخرى أي في إطار جديد . وهذا

التأثير التجديد هو الذي يسمح بالرؤية الجديدة وبالتالي حل المشكلة ، وعلى المرشد بالطبع أن يقنع الأسرة بهذا التأثير الجديد لشكليتها . وعملية إعادة التأثير Reframing ليست سهلة ، بل إنها تمثل تحدياً كبيراً أمام المرشد أو المعالج ، ويتوقف على نجاحها إلى حد كبير نجاح العملية الإرشادية أو العلاجية ، ولذا تحتاج إلى كل ثقافة المرشد وتدريبه وذكائه وخبراته الاجتماعية والإنسانية .

والثال الذي يمكن أن يعطى مثل هذه العملية ما فعله « هيلى » من إعادة تأثير حالة فصام Schizophrenia كحالة فصام كاذبة Pseudo - Schizophrenia (Haley, 1987) . ومن ثم استمر في مساعدة الأسرة ، وخصوصاً الفرد الذي حدد كمريض . وينبئ أن يستمر المرشد أفراد الأسرة في تقويم سلوك الأفراد الآخرين خاصة الفرد المحدد كمريض ، ففي حالة الفصام الكاذبة يمكن الاستفادة من مراقبة أفراد الأسرة لهذا العضو وأن يسجلوا ملاحظاتهم على مقياس يزودهم به المرشد له خط أساسى أو قاعدى يمثل السلوك السوى .

وعكن للمرشد أن يستمر بعض أعضاء الأسرة بعينهم لمساعدة الشخص المحدد كمريض ؛ لأنه ربما يكون هناك علاقة بين هذا العضو بالذات وأعراض من حددهوه كمريض ، مثل البنت المتمردة على الأسرة ، والأم خصوصاً ، وعلاقة ذلك بالتشجيع الخفى وربما اللاشعورى لها ، ودفع الأم كذلك لبعض أبنائها لكثير من السلوك الذى يدخل تحت باب الأعراض .

وقد يترك المرشد الأسرة للحظات تتفاعل معًا غير حضوره بعد أن يلقى عليهم سؤالاً مثلاً ، أو يعرض عليهم التفكير في مسألة ما ، أو أن يطلب آرائهم بعد فترة من التدبر . وقد يلاحظ تفاعلاً لهم من خلال شاشة ذات اتجاه واحد One - way Screen . وفي كثير من الأحيان يحتاج المرشد إلى ملاحظ آخر بجانبه ليس ضد بداية التغيرات في مواقف الأسرة وعلاقتها بعد أن تكون مرحلة التفاعل قد قطعت شوطاً . وهذا الملاحظ الخارجي قد تكون ملاحظته قيمة كبيرة ؛ لأن المرشد يكون قد اندمج وأصبح جزءاً من النسق ويدأب يتحرك في إطارهم وحسب ليقاومهم « ويوقف رقصتهم » كما يقول متosh . ولذلك فإن « كارول ويتكر » Carol Whitaker يصر على ضرورة الاستعانة بملاحظ أو مساعد للمرشد حيث يكون هذا الملاحظ أقدر على رصد التغيرات التي بدأت تأخذ مجراهها في النسق الأسرى . ويمكن أن تناقش ملاحظات الملاحظ داخل الجلسة ، في إطار تقدير دقة الفروض التي فرضت قبل الجلسة وإعادة صياغتها في ضوء البيانات الجديدة

التي جمعت أثناء الجلسة، فيما أسماء نوبل «مؤلف داخل الجلسة»، Nobel , 1991 ، In - Session Conference . 338.

ويرتبط بمؤثر داخل الجلسة التكليفات المترتبة التي يطلب المرشد من أعضاء الأسرة القيام بها . وهي مطالب لا تخص الإرشاد والعلاج الأسري وحده ولكن معظم المعالجين الآن يستخدمونها ، فإن عدد ساعات الجلسات العلاجية مهما كان لا يكفي لإحداث التغيير المطلوب وبالدرجة المطلوبة ، ولذا فإن التكليفات المترتبة تصبح ضرورة ، لتدريب العميل على إتقان مهارة معينة ، وعلى ربطه بعملية الإرشاد والعلاج فيما بين الجلسات . ويحدث بعض المرشدين والمعالجين أن تسير الإجراءات الإرشادية مع الإجراءات الشخصية ، فليس من الضروري الانتظار حتى يتنهى الشخص بالكامل حتى تبدأ خطوات الإرشاد أو العلاج على الأقل في بعض الحالات حيث تكون الخطوات الإرشادية مما يصب في زيادة مقدرة الأفراد والأسرة على ضبط سلوكهم وعلى الالتزام بقواعد التعامل السوى . وعلى أي حال فإن المرشد أو المعالج ذو الخبرة الطويلة يمكنه أن يزور في مرحلة من مراحل العمل بين الخطوات الشخصية والخطوات الإرشادية .

والجلسات الأولية خاصة مع أفراد الأسر كبيرة الحجم غالباً ما لا يمكن إنجازها في حدود الساعة الإرشادية (خمسون دقيقة) . وإذا لم يكن عمل جدول يتضمن جلة أطول يكون البديل عقد أكثر من جلسة أسبوعياً لإقامة وتدعم الصلة الإرشادية بين المرشد والأسرة . وما لا شك فيه أن التكليفات المترتبة تعرض بعض الشيء قصور وقت الجلسة ، إضافة إلى زيادتها قوة العلاج وفاعليته كما ذكرنا .

وتشير «سو والروند - سكتنر » إلى فنية أو إتجاه أو مدخل وهو أن يستخدم المرشد أو المعالج نفسه The Therapist Use Of Himself كأداة لإحداث التغيير المطلوب وعلى نحو أسرع وأكفاء ، وترى أن أسلوب استخدام المعالج لشخصيته الخاصة وسماته المميزة أثناء مسار العملية الإرشادية أو العلاجية أحد العلامات والسمات التي تميز بين معالج وآخر . ويستخدم المرشد ظاهرة الطرح أو التحويل ليس لمشاعر أفراد الأسرة على نفسه ، ولكن طرح أفراد الأسرة مشاعرهم بعضهم على بعض ليفهم طبيعة العلاقات بينهم ويصحح غير السوى فيها ؛ لأنه لا يدرب أفراد الأسرة كحالات فردية ولكنه يدرب الأسرة كلها كحالة فردية . وعندما يدخل المرشد إلى النفق الأسري فإنه يدخل كإنسان كما يدخل كمحترف . وعليه أن يتحرك بين هذين الدورين حسب

متطلبات العملية الإرشادية . ويجد المرشد نفسه في بعض المواقف منصباً فعلاً وفي

البعض الآخر ينتحى ويتربك لأفراد الأسرة أن يتغافلوا بحرفيتهم بدون تدخل ، ويكتفى
بدور المراقب والمحلل للتفاعل . ويستطيع أن يصف المرشد مشاعره بالضغط الإيجابي
منها والسلبي لأفراد الأسرة كما يسمع منهم مشاعرهم حتى يدركوه كواحد منهم
وليس كسلطة فوقية قوية ، بل إنه يمكن أن يجعل من نفسه مقاييساً لمشاعرهم . ويسأل
أفراد الأسرة ما إذا كانوا قد شعروا بنفس شعوره إزاء مسألة ما ؟ ويعتمد هذا المدخل
على أن المرشد يستخدم كل إمكانياته وقدراته في تحقيق هدف العملية الإرشادية
. (Walronn-Skinner,S. 1981,45-46)

وعلى المرشد أن ينهي الجلسة بتحديد موعد الجلسة التالية وتحديد من سيكون
حاضرًا من أفراد الأسرة ، ولا ينبغي - كما قلنا - أن يسائل المرشد الأسرة فيما إذا
كانت ترثب في العودة واستمرار العلاج ، فهو أمر مفروغ منه ، إلا إذا ظهرت أمور
أخرى تدل على غير ذلك .

وعندما يعمل المرشد في فريق ، أو عندما يكون له مساعد ، فإنه يعقد لقاء مع
الفريق أو مع المساعد بعد الجلسة لتلخيص ما دار في الجلسة ولسماع وجهات النظر
المختلفة حول الأسرة وتتطور استجاباتها للتدخلات الإرشادية . وحتى عندما يعمل
المرشد بمفرده فإنه يحتاج بعد كل جلسة أن يجعل بعض ملاحظاته وانطباعاته المستمرة
عن الأسرة وتقدمها وجوانب القوة في الأسرة ، كما تظهر في العملية الإرشادية كذلك
جوانب الصيغ . كما يسجل التكليفات المتزلية التي ينبغي أن يصر عليها المرشد وأن
يعتبرها محكماً ودليلًا على مدى التزام الأسرة بالعملية الإرشادية وجديتها واستعدادها
لتحمل التغيير الذي ستاتي به .

* * *